مجلة الرائد

العدد : ٢٢٧ الموافق في محرم ١٤٢٢ هجري ٤/٢٠٠١ ميلادي

عنوان المقال : ذكرى لمن كان له قلب	الكاتب : الأستاذ عصام العطار

روى البخاريّ في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنّ رسول الله ﷺ خطب يومَ النَّحْرِ [١] فقال :

- يا أيُّها الناسُ أيُّ يومٍ هذا ؟

◆ قالوا :

- يومٌ حَرام [٢]

قال :

- فأيُّ بلدٍ هذا ؟

◆ قالوا :

- بلدٌ حَرام

قال :

- فأيُّ شهرٍ هذا ؟

◆ قالوا :

- شهرٌ حرام

قال :

- « فإن دِماءَكُم وأموالَكم وأعراضَكم [٣] عليكم حرامٌ ، كحرمةِ يومِكُم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا [إلى يوم تَلْقَوْنَ رَبّكم [٤]] فأعادها مراراً ، ثمَّ رفع رأسه فقال :

- « اللهمَّ هل بَلَّغْتُ ، اللهمَّ هل بَلّغْتُ . فليبلّغ الشاهِدُ الغائب . لا تَرجِعوا بَعْدي كُفّاراً ، يضربُ بعضُكم رقابَ بعض »

قال ابنُ عباس : « فَوَالذي نفسي بيَدِهِ إنّها - أي هذه الخطبة المتقدمة - لوَصيّتُه إلى أمته » .

وقد جَهِدَ كثيرون من العرب والمسلمين ، وحكّامِهم على الخصوص ، في القرن الماضي ، وما يزال أكثرهم في القرن الجديد يجهدون في مخالفة وصيّة رسولهم ﷺ ، ورجعوا بعده كفاراً - أي : إلى مثل أخلاق الكفار وأفعالهم في الجاهلية - يَضرب بعضُهم رقابَ بعض ، ويُظاهر بعضُهم أعداءَ الإسلام

والمسلمين على بعضهم الآخر ، حتى هبطوا إلى الحضيض سياسيّاً واقتصاديّاً وعسكريّاً .. وهبطوا إلى ما دونَ الحضيض في موازينِ الكرامةِ والشهامةِ والأخلاق ، والاعتبارِ المحلّيّ والإقليميّ والدوليّ

مئاتُ ألوف ، ومئاتُ ألوف من المسلمين أهرقت دماؤهم على أيدي مسلمين آخَرين !

مئاتُ ألوف ، ومئاتُ ألوف من اليتامَى والأيامَى والثكالَى والمعوّقين .. فُجِعُوا على أيدي إخوة مسلمين !

مئاتُ مليارات ، ومئاتُ مليارات من الدولارات ذهبت للتخريب والتدمير بدلَ أن تذهب للإنشاء والتعمير .. ذهبت لقتل المسلمين بدل أن تذهب لإحياء المسلمين .. ذهبت لاستعباد المسلمين بدلَ أن تذهب لتحرير المسلمين .. ذهبت لترجع بالمسلمين إلى الوراء بدل أن تتقدمّ بهم إلى الأمام !

لقد أعطانا الله بفضله ما لَوْ أحسنّا شكره ، والاستفادة منه ، والتصرّف فيه ، لكُنّا قوةً من أكبر القوى في هذه الدنيا ، وكنّا من السابقين في العلم والإدارة والتكنولوجيا والاقتصاد .. وفي كل مجال من مجالات الحياة ، ولأسهمنا في حماية الإنسانية والإنسان من الضياع والضلال ، والبؤس والظلم ، وفي نصرة الحق والعدل ، وإشاعة الرحمة والخير في كل مكان

أعطانا الله تعالى من المواقع الاستراتيجية ، والثروات الطبيعية ، والأعْداد والأعْراق البشرية الوفيرة .. وأكرمنا بالكتاب الباقي ، والرسول الهادي ، والعقل المرشد .. وبما لا يُحصى من النعم .. أعطانا الله من ذلك كلّه ما كان يؤهّلنا للصّدْر من الوجود ، والمقدّمة من القافلة ؛ ولكننا بسفهنا - أعني الأكثرين منا - وطيشِنا وجهلِنا ، وسفهِ أكثرِ أنظمتِنا وحكامِنا على الخصوص ، واستغراقهم واستغراقنا في الأنانيات والشهوات ، وألوان المفاسد والانحرافات .. صِرنا إلى هذا الواقع الأليم الحقير البئيس ، وإلى هذا العجز والهوان والاستسلام - إلاّ من رحم الله -

والأنكى من ذلك كلّه أن حكامنا - على الخصوص - ما يزالون سادرين في غَيّهم ، مُعْرِضين عن ربّهم ودينهم وهداية رسولِهم ﷺ

ما نزال نَنْحَدِر .. نَنْحَدِر .. ننحدر بقوة وتصميم وعناد !! ولكن إلى أيْنَ إلى أينَ يا حكام العرب والمسلمين ؟! وهل بعد هذا الحضيض الذي بلغناه حضيضٌ أدنى منه نهوي إليه ؟!

مجلة الرائد

العدد : ٢٢٧ الموافق في محرم ١٤٢٢ هجري ٢٠٠١/٤ ميلادي

عنوان المقال : ذكرى لمن كان له قلب	الكاتب : الأستاذ عصام العطار

إنّ هذا الواقع الراهن - أيها المسلمون - يتناقض كلَّ التناقض مع روح الإسلام وقِيَم الإسلام وتعاليم الإسلام

إنّ هذا الواقع يتناقضُ كلَّ التناقض مع العقل والمنطق ، وكلِّ مصلحة جوهريّة مشروعة من مصالح العرب والمسلمين والبشر أجمعين ، وكلِّ شِرْعَة حكيمة كريمة من شرائع السماء والأرض

إنّ هذا الواقع - إن استمرّ هذا الواقع - ضياعٌ لحقوقنا ومقدساتنا ، وخسارةٌ لحريتنا واستقلالنا ، وهلاكٌ لأمتنا وشعوبنا وبلادنا ، وخِزيٌ لنا في دنيانا وآخرتنا ، وإهدارٌ آثم للإنسان وحقوق الإنسان ومستقبل الإنسان

يا مسلمون

يجب أن نرفع أصواتنا بقوّة وجرأة وتجرّد كامل لله عزَّ وجلَّ ضدّ هذه الحروب والصراعات الظاهرة والخفيَّة : العربية - العربية ! والإسلامية -الإسلامية !!

يجب أن يتجاوز العرب والمسلمون هذه الحروب والصراعات وأن يسلكوا سبيل الإيمان والإحسان ، والعقل والمنطق ، والأخوة والتفاهم ، والتعاون الواجب على البر والتقوى

إنّ تجاوز الصراعات ، والتوحّد في مواجهة التحدّيات ، ضرورة قائمة ، وفريضة محتّمة ، لبقائنا وتقدّمنا ، وأداء واجبنا في خدمة الإسلام والمسلمين ، وخدمة الإنسانية والإنسان على كل صعيد

✧ ✧ ✧

أخُطُّ هذه الكلمات في ذي الحجة : الشهر الذي كانت في العاشر منه ، في يوم النحر ، خطبةُ الرسول ﷺ ووصيَّتُه المتقدّمة ، وجلستُ أمامَ التلفزيون ، أستعرض ما تيسّر لي من الأقنية الفضائية العربية لعلّها قد التفتت إلى هذه الذّكرى ، وإلى هذه الخطبة ، ولعلها تعقد لهذه المناسبة بعض الندوات ، أو تُجري بعضَ الأحاديث التي تُبَصِّر العربَ والمسلمين ببشاعة واقعهم ، وحُرمةِ اقتتالهم وتفرّقهم ، وتدعوهم في هذه المناسبة إلى حَقْنِ دمائهم ، وتجاوزِ صراعاتهم ونزاعاتهم ، والتعاونِ والتكاملِ في مواجهة تحدّيات عالمهم وعصرهم على كلّ صعيد ؛ ولكنني - وأسفاه - لم أرَ فيما رأيت من هذه الفضائيات إلاّ رقصاً وغناءً ، وأحاديثَ مطوّلة مع فنانين وفنانات .. لم يكن لها علاقة بجوهر عيد الأضحى ، ولم يكن فيها موضعٌ لمحمدٍ وهديه ، وخطبتِه ووصيّته ، في وقتٍ لا يحتاجُ المسلمون فيه

شيئاً كما يحتاجون لهذه الخطبة والوصية ، ولهذا الهَدْي النبويّ العظيم ؛ ولكننا نلاحظ في الغالب - ولا أعمّم - إغفالَ المناسبات الإسلامية في الإعلام العربيّ والإسلاميّ ! أو تفريغَها من مضمونها الحقيقيّ ، أو تحويلَها بل تحويل الدين كلّه - أحياناً - إلى " فولكلور " ! وما أشدّ ألمنا نحن المسلمين - على سبيل المثال - عندما نشاهد شهر رمضان المبارك وقد فُرِّغ من مضمونه العباديّ ، وحُوِّل إلى موسم من مواسم الرقص والغناء وسائر ألوان لهْو والتسلية التي تصرف أو تشغل عن العبادة والطاعة وذكر الله عزَّ وجلَّ

✧ ✧ ✧

أخُطُّ هذه السطور ، وأحمل مسؤوليتها أنا وحدي ، لا يحملها معي أحدٌ غيري .. أخطُّها في هذه الساعة بمداد الحزن والأسى لحال العرب والمسلمين ، والثورةِ والتمرّدِ على واقعنا البائس الحقير ، ؟ والأملِ والشوقِ إلى الإصلاح والتغيير ..

ولعل هذه السطور البسيطة الصادقة تصل أيضاً إلى بعض حكامنا الغافلين أو المتغافلين ، وإلى بعض أصحاب السلطة والقدرة والتأثير ، تزيدهم شعوراً بمرارة الواقع وحقارته ، وسوء عاقبته في الدنيا والآخرة ، وتذكرهم بعض التذكير بالواجب الخطير في هذه الظروف ، وبمسؤوليتهم الكبيرة الخطيرة في الحاضر والمستقبل القريب والبعيد { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } [ق : ٣٧]

الهوامش

(١) يوم النحر : يوم العاشر من ذي الحجة في مِنى ، وهي من الحرم المكي .

(٢) حرام : أي : ذو حُرْمة ، يحرمُ فيه القتال ، وكذلك هي الدماء والأموال والأعراض ذاتُ حرمة لا يجوز انتهاكُها أو التعرض لها .

(٣) العِرْضُ : البَدَنُ ، والنفس ، والحَسَب ، وما يُمْدَحُ ويُذَمُّ من الإنسان سواء كان في نفسه أو سَلَفِه أو من يَلْزمه أمره .

(٤) ما بين القوسين المعقوفين زيادة من حديث أبي بكرة الذي رواه البخاري .